الأستاذ محمد بستي

المؤسسة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

البريد الالكتروني: mohammedbecetti@gmail.com

رقم الهاتف: 0698782385

عنوان المداخلة: الحملات العسكرية الانجليزية على مدينة الجزائر 1816_1824 وتداعياتها:

مقدمة:

تعرضت ايالة الجزائر إلى حملات عسكرية بحرية طيلة العهد العثماني من مختلف الدول الأوروبية كانت أسبابها مختلفة في مقدمتها سيطرة الجزائر على البحر المتوسط وقضية الأسر والعلاقات الدولية بينهما ودفع الإتاوات والهدايا، وقد اكتست هذه الحملات في الكثير من الأحيان طابع التحالفات للانتصار وإضعاف قوة الجزائر، ولعل أهمها الحملات الانجليزية على مدينة الجزائر في العقدين الأخيرين من الحكم العثماني، الأولى حملة اللورد اكسموث في أوت 1816م بتحالف هولندي، والثانية في نوفمبر 1824م بقيادة "هنري نيل"، وتعد هتين الحملتين أخطر الحملات الأوروبية ضد الجزائر نظرا للظروف التي أحاطت بها فهي جاءت بعد سنة من مؤتمر فيينا 1815م، الذي عالج ضمن قضاياه المسألة الجزائرية وضرورة إنشاء حلف أوروبي لمحاربة الايالات المغاربية، مما كان له بالغ الأثر على مستقبل ايالة الجزائر. ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: كيف أثرت التحالفات العسكرية في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر على نهاية الحكم العثماني في الجزائر؟ وإلى أي مدى أثرت الحملتين الإنجليزيتين على مستقبل إيالة الجزائر؟

1_ التحالفات الأوروبية في مؤتمر فيينا 1815:

إنّ التفوق العسكري للبحرية الجزائرية وممارستها للجهاد البحري طيلة ثلاثة قرون جعلها مستهدفة من الدول الأوروبية، التي كانت ترى في الجزائر مكان لقطاع الطرق ولصوص البحر يجب توحيد الجهود لمحاربتها، ولم يكن ذلك إلا بوفاق بين الدول الأوروبية في شكل أحلاف كانت تسمى بالمقدسة، مستخدمة القانون البحري الدولي الجديد الذي يمثل قانونا أوروبيا في أساسه لتطبيق مخططاتها ضد الجزائر[1].

[1] مبارك شودار، التكتل الأوروبي ضد الجزائر فيما بين 1815_1819 وتداعياتها، مج 9، ع1، مجلة الحوار المتوسطي، 2018، ص 127.

واثر انتصار بريطانيا وحلفائها على فرنسا نابليون بونابرت، عقد مؤتمر فيينا بين 1 أكتوبر 1814 و9 جوان 1815، لتسوية الأوضاع في أوروبا وإرجاع الأوضاع العامة في أوروبا إلى سنوات ما قبل الثورة الفرنسية، وكان من المفروض أن لا يتجاوز هذا المؤتمر حدود القارة الأوروبية لكن الأطماع تجاوزت تلك الحدود، فقد أثير موضوع الجزائر في المؤتمر في مناسبتين الأولى عندما طالب فرسان مالطا بمنحهم أي مقر تجتمع فيه جميع الأساطيل المسيحية لمحاربة قراصنة الدول المغاربية، والمناسبة الثانية تتعلق بموضوع تجارة الأسرى ورغبة المؤتمرين في تحرير الأسرى المسيحيين الذين ما يزالون بشمال إفريقيا.[2]

كما قدم الأميرال الانجليزي "سيدني سميث" مذكرة إلى المؤتمرين دعا فيها إلى إنشاء قوة بحرية تضم جميع الدول الأوروبية لمراقبة سواحل البحر المتوسط ومطاردة القراصنة، كما أشار إلى الوسائل التي يمكن أن تحقق هدفهم وتنهي الحكم العثماني في الجزائر حيث قال:"ففي الوقت الذي تناقش فيه وسائل إلغاء تجارة الرقيق الأسود في سواحل إفريقيا الغربية، فان لمن المدهش أن لا ننتبه إلى الساحل الشمالي لهذه القارة الذي يقطنه الأتراك الذين يضطهدون جيرانهم ويخطفونهم ليستخدمونهم في جدف سفنهم، إن مثل هذه الأعمال لا تغضب الإنسانية فحسب بل إنما تعرقل التجارة إذ أصبح من الصعب اليوم أن يبحر بحار في المتوسط أو المحيط الأطلسي على سفينة تجارية دون أن يتعرض لاعتداءات القراصنة.[3]

اقترح سيدني سميث طريقتين للقضاء على القرصنة المغاربية فتمثلت الطريقة الأولى في تكوين قوة بحرية مشتركة بين الدول الأوروبية لمحاصرة السواحل المغاربية ومنع السفن الحربية من الخروج من موانئها، أما الطريقة الثانية فهي قيام سفراء الدول الأوروبية بتحميل الباب العالي مسؤولية تلك الأعمال وهذا من خلال السماح لها بتنظيم عمليات التجنيد في أقاليم الدولة العثمانية. [4]

ولإثارة المسيحيين عاب سميث عليهم الإتاوات والهدايا التي كانوا يدفعونها للجزائر وأشار إلى أن فرسان مالطا لن يستطيعوا وحدهم القضاء على القرصنة المغاربية ودعاهم إلى توحيد الصفوف والعمل العسكري المشترك الذي بدونه لن تكون أوروبا في مأمن،[5]وبالإضافة الى هذا أسس سميث جمعية أطلق عليها " جمعية فرسان محرري الرقيق الأبيض في شمال إفريقيا" التي تشكلت من شخصيات بارزة في الدول الأوروبية ولكن هدفها هو إعادة تشكيل نظام فرسان مالطا في شكل جديد [6]وتشكيل حلف أوروبي.

---

[2] شودار، مرجع سابق، ص 131.

[3] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800_1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 147.

[4] حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815_ 1830، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007،ص 13.

[5] شودار، مرجع سابق، ص 132.

[6] شويتام، مرجع سابق، ص 148.

لكن أفكار سيدني سميث لن تلقى تأييدا من بعض الدول[7]، فبالنسبة إلى دولته أي بريطانيا فإنها ظاهريا رفضت المشروع لأنها أرادت بقاء الايالات المغاربية على حالها حتى لا تتعرض لحالة من الفوضى تسمح لفرنسا من احتلالها بسهولة، إلا أنها في نفس الوقت كانت تسعى لتأييد سماع أي مشروع من شأنه القضاء على القرصنة في البحر المتوسط[8]. أما فرنسا لم تتحمس لتلك الأفكار لأنها لم تعد دولة قوية وكانت تعاني من ضعف في أسطولها بسبب حروب نابليون، فكانت ترى أن تنفيذ مثل تلك المشاريع سيخدم مصالح انجلترا أكثر من مصالحها، ولكن مع ذلك كان لبولنياك رأي مخالف لحكومة بلاده إذ كان يرى في مشروع "سميث" متنفس وآمال ومطامع الشعب الفرنسي فقدم إلى المؤتمر مذكرة خاصة في 19 سبتمبر 1816 دعا فيها إلى ضرب حصون الجزائر[9].

واعتبرت الدولة العثمانية تعرض مؤتمر فيينا للايالات المغاربية تدخلا مباشرا في شؤونها الداخلية وأمر السلطان محمود الثاني بإرسال مبعوث الى الجزائر وطرابلس الغرب وتونس لتنبيه الايالات الثلاث بالمشروع الذي يحاك ضدهم[10].

وبعد أن تداول المؤتمرون مختلف القضايا المطروحة في المؤتمر أصدروا قرارا نهائيا في 9 جوان 1815، ألحوا فيه على ضرورة وضع حد لمسألة القرصنة والأسرى المسيحيين في الايالات المغاربية، لكن الملاحظ أن الدول الأوروبية عجزت عن تنفيذ ذلك نظرا للتطورات الدولية التي حصلت في أوروبا والتي من بينها هروب نابليون بونابرت من جزيرة ألبا وعودته الى باريس 1815، وبعد ان تخلصت منه الدول الأوروبية المتحالفة اجتمعوا في باريس وهناك وصلتهم أخبار حول حملة الولايات المتحدة الأمريكية على مدينة الجزائر مما شجع الدول الأوروبية على مواصلة قراراتها[11].

من بين أهم قرارات مؤتمر فيينا:

_ عدم الاعتراف بسيادة أي دولة غير أوروبية

_ تكوين تحالفات: التحالف المقدس الذي جمع الدول الأوروبية الكبرى روسيا وبروسيا والنمسا وبريطانيا ثم التحقت بهم فرنسا وهولندا فيما بعد.

_ تحالف الرباعي الذي ضم الدول الكبرى بروسيا وروسيا ونمسا وانجلترا بعد معاهدة باريس الثانية ، وهدف هذه التحالفات لم يكن فقط إرجاع فرنسا إلى حدودها السابقة بعد توسعها والحفاظ على التوازن الدولي بل كما ذكرنا كان هدفها أيضا هو إنهاء السيطرة الجزائرية والمغاربية على البحر المتوسط.

---

[7] عارضت اسبانيا والبرتغال مؤتمر فيينا بدافع مصالحها الخاصة بينما اعتبرت روسيا أن قرارات مؤتمر فرصة للوصول الى أهدافها، انظر: وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816_1824، تر إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع، الجزائر، 1982، ص145

[8] شالر، مصدر سابق، ص145_146

[9] شويتام، مرجع سابق، ص 148.

[10] هلايلي، مرجع سابق، ص 14.

[11] خطاب فطوم، التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية 1800_1830، رسالة ماجستير في تاريخ الدبلوماسية والعلاقات الدولية خلال القرنين التاسع عشر والعشرون، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2014_2015، ص23.

وفي منتصف جوان 1815 جاءت أول مبادرة أوروبية قادتها هولندا التي أرسلت أسطولها الحربي الى الجزائر من أجل تجديد معاهدة السلام التي تربط بين البلدين بنفس الشروط التي نصت عليها المعاهدة القديمة، لكن الداي عمر رفض اقتراح الهولنديين قبل أن يدفعوا ما عليهم من إتاوات سابقة، وفي تلك الفترة حسب ما ذكره شالر فإن السفن الحربية الانجليزية كانت تتعاقب على سواحل الجزائر عدة مرات تحضيرا لعمل عسكري ضدها[12].

لقد كان لمؤتمر فيينا انعكاسات جد خطيرة على ايالات شمال إفريقيا نتيجة لقراراته فقد شكل أحد أخطر المؤتمرات خلال القرن تاسع عشر التي حدت من النشاط البحري الجزائري، فالحرب التي استمرت بين الجزائر والدول الأوروبية خلال ثلاث قرون قد وضع مؤتمر فيينا نهاية لها وذلك بعد أن تمكنت الأمم المسيحية من الانتهاء من خلافاتهم والتفرغ للقضاء على الجزائر[13].

لم يكن مؤتمر فيينا الوحيد الذي اهتم بالقضية الجزائرية فبعده بسنتين 1818 اجتمعت الدول الأوروبية من جديد لإثارة هذه القضية في مؤتمر اكس لاشابيل جنوب ألمانيا، حيث انضمت هذه المرة فرنسا الى الحكومة الدولية التي أصبحت تضم كل من انجلترا وفرنسا وروسيا إضافة إلى النمسا وبروسيا، واتفقت هذه الدول على تفتيت الإمبراطورية العثمانية، مع توجيه إنذار إلى الجزائر بالكف عن ممارسة تجارة الأسرى والقرصنة وتهديدها باستخدام القوة، هذا وقد اتفق المؤتمرون على أن تقوم بريطانيا وفرنسا بهذه المهمة بالنيابة عن باقي الدول الأوروبية، وبعد المفاوضات مع الداي حسين رفض الامتثال لمطالبهم خاصة فيما يتعلق بالتخلي عن تفتيش السفن الأجنبية وعدم مصادرتها، وقال للوفد الأوروبي أنه لا يخضع لأوامر الملوك الأوروبيين أن دولته حرة في أن تحارب من تشاء وتسالم من تشاء، وهو ما أدى إلى تأزم العلاقات الجزائرية الأوروبية فيما بعد وأصبحت هذه الأخيرة تتدخل في الشؤون الداخلية للجزائر عن طريق قنصليتها وخاصة القنصلية الفرنسية.[14]

وما يمكن قوله في الأخير أن مؤتمر فيينا وإكس لاشبيل كانا بداية المرحلة الأولى لتقسيم البلاد العربية بين الدول الأوروبية خاصة انجلترا وفرنسا، وأن المؤتمرين كانت من نتائجهما إنهاء الحكم العثماني في الجزائر.

2_حملة اللورد إكسموث 1816:

في أوائل سنة 1816 ظهر الأسطول الانجليزي أمام السواحل الجزائرية بقيادة اللورد اكسموث قصد إخبار داي الجزائر "عمر" بأن مؤتمر فيينا قد قرر إلغاء تجارة الأسرى والقرصنة، وطلب بأن يقبل الجزائريون القرار وأن يحرروا الأسرى المسيحيين،[15]وبخاصة مملكتي سردينيا ونابولي اللذين اعتبرتهم رعايا انجليزيين، ليتوصل الطرفان الانجليزي والجزائري إلى تسوية للمشاكل وبخاصة مسألة أسرى سردينيا لكن اختلفا فيما يخص قضية تحرير الأسرى النابوليين الذين كان عددهم أكثر من 1200 رفضت الجزائر تحريرهم مع امتناعها عن تطبيق ما جاء في مؤتمر فيينا

---

[12] شالر، مصدر سابق، ص 149.

[13] شودار، مرجع سابق، ص 132.

[14] صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1993، ص77،

[15] جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500_1830، تر أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 445.

1815[16]. لما رفض الداي باقي شروط اكسموث شد الرحال هذا الأخير إلى تونس وطرابلس حيث أبرم مع حكامها معاهدة سلم حرر بموجبها أسرى نابولي وسردينيا دون أن يدفع لهما ثمن الفدية والواضح كذلك أن إيالة تونس وطرابلس وافقوا مبدئيا على قرارات مؤتمر فيينا،[17] وبد أن تمكن اكسموث من حل مشاكله مع الإيالتين عاد إلى مدينة الجزائر مصطحبا معه جميع قواته البحرية وهو إجراء اتخذه بدون شك لتعليمات جديدة قد تلقاها من حكومته[18].

تلقى اكسموث تعليمات من حكومته تلزمه باصطحاب جميع قواته والتوجه نحو الجزائر لإرغامها على الأسر والقرصنة بصفة نهائية[19]، وأخذ بقية الأسرى الموجودين بهذا البلد وقد قدم اكسموث هذه الشروط للداي عمر من أجل إبرام معاهدة بين الطرفين، في حين أن الداي كان رده بأنه سيقوم باستشارة السلطان العثماني في الأمر وهذه المشاورات ستستغرق 6 أشهر وعندئذ هدد اكسموث بتدمير مدينة الجزائر إذا صمم الداي على هذا الموقف في رفض شروطه وأعطاه مدة ثلاث ساعات للرد النهائي[20]، فاعتبر الداي هذا الرد بمثابة إنذار لذا جمع أهل البلد والديوان وأخبرهم بجواب اكسموث فاتفقوا جميعا على إعلان الحرب على إنجلترا وقصف أسطولهم بالمدافع[21]، ولما رأى قائد الأسطول الإنجليزي أن الجزائريين يفضلون الحرب مال إلى السلم معهم واعتذر منهم وتوصل الطرفان إلى تسوية النزاع دون حرب حيث وافق اكسموث على منح الداي مهلة للتشاور مع الباب العالي بشأن المسائل التي بقيت عالقة[22].

ولما وصلت أخبار هذه المفاوضات والصلح الذي جرى بين اكشموث وداي الجزائر امتعضت الدول الأوروبية التي اتهمت انجلترا بأنها تعمل لأجل مصالحها فقط ولم تنفذ ما اتفقوا عليه في مؤتمر فيينا مما سيلحق بهم ضررا مستقبلا ، وبطبيعة الحال من أجل أن تظهر انجلترا لدول الأوروبية عكس ذلك بدأت تعدّ لحملة أكثر فاعلية بتجهيز أسطول يتجه نحو مدينة الجزائر وبدأت في ذلك بتاريخ 28 ماي 1816 ووصل إلى الجزائر في 17 أوت 1816، وبوصوله إلى جبل طارق انضم إليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال "فاندر كابيلان".[23]

---

[16] شالر، مصدر سابق، ص 150. انظر أيضا : أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار 1754_1830، تح أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص120.

[17] شويتام، مرجع سابق، ص 152.

[18] شالر، مصدر سابق، ص 152.

[19] إن هذه الإجراءات والقوانين الأوروبية كانت تعمل على تحطيم الاقتصاد الجزائري من خلال تحريم النشاط البحري وما ينتج عنه من أسر المسيحيين المعاديين للجزائر، أنظر: مبارك شودار، الحملات الأوروبية على إيالة الجزائر وإنعكساتها فيما بين 1671_1830 في الأرشيف الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2019_2020، ص240.

[20] شالر، مصدر سابق، ص 153

[21] شويتام، مرجع سابق، ص 153.

[22] شالر، مصدر سابق، ص 154.

[23] شالر، مصدر سابق، ص 155_156، أنظر أيضا شريف الزهار، مصدر سابق، ص121.

وهنا نفند أن الأسطول الانجليزي والهولندي التقيا صدفة في مضيق جبل طارق بل إنهما تحالفا بغية إعطاء المشروع صبغة أوروبية دولية ، وهذا يؤكد أن الحملة المشتركة كانت بتخطيط وتواصل مسبق من أجل تنفيذ الاتفاق الأوروبي سابقا.[24]

وفي ما يلي أهم أسباب الحملة[25]:

1_ تنفيذ قرارات مؤتمر فيينا فيما يخص وقف الاسترقاق والقرصنة وتكوين تحالفات ضد الايالات المغاربية.

2_ مذكرة سيدني سميث السابقة الذكر، وهي عبارة عن تقرير ضم ما ألحقته البحرية الجزائرية والمغاربية بالتجارة الأوروبية، والخطوات التي يجب اتخاذها ضدهم.

3_ انعقاد مؤتمر لندن 1816 بمشاركة انجلترا وهولندا وفرنسا والدويلات الايطالية حيث تم الإقرار بتكوين أسطول مشترك لضرب الايالات المغاربية، غير أن فرنسا رفضت الفكرة وهي التي كانت تفضل القرصنة المغاربية على أن يصبح البحر المتوسط انجليزيا وبالتالي ضياع مصالحها في السيطرة عليه.

4_ كما بررت انجلترا حملتها بإلقاء القبض على الرعايا البريطانيين والقنصل البريطاني على إثر قيام اكسموث بمفاوضات مع الداي عمر في ماي 1816، إضافة إلى حادثة عنابة التي استولى فيها الجزائريون على سفينة تحمل العلم الانجليزي والفرنسي تحمل 200 شخص، وقبل ذلك أسر رعايا نابولي وساردينيا

5_ الأوضاع السيئة التي كانت تعاني منها الجزائر باغتيال الداي الحاج علي في مارس 1815، واغتيال بعد أسبوع الداي الجديد محمد الخزناجي في أفريل 1815.

6_ توقيع معاهدة "غانت" التي أنهت حالة الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا سنة 1814 وبالتالي تفرغ انجلترا لمحلاتها، إضافة إلى الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر 1815 والتي كانت من نتائجها مقتل الرايس حميدو وتوقيع الصلح بين الطرفين سمح بالمرور الآمن للسفن الأمريكية دون دفع إتاوات وهو ما شجع الدول الأوروبية للقيام بمثل ما قامت بيه الولايات المتحدة الأمريكية.

مع وصول الأسطول الانجليزي إلى سواحل مدينة الجزائر وجه اكسموث إنذارا إلى الداي وكلف المترجم سلامي بنقل رسالتين واحدة للداي والأخرى للقنصل الانجليزي التي ضمت إلغاء الرق المسيحي وإطلاق سراح جميع

---

[24] شودار، الحملات الأوروبية...، مرجع سابق، ص232.

[25] حول هذه الأسباب أنظر: جوون وولف، مرجع سابق ص444، وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر عبد القادر زيادية، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص191، محمد عطية، التحالفات الإقليمية والدولية ضد إيالة الجزائر 1541_1830، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2019_2020، ص254_255.

الأسرى مع إعادة أموال الفداء التي منحت للجزائر سابقا فيما يخص تحرير أسرى نابولي وسردينيا الخاضعتين للنفوذ الانجليزي ومع قيام الجزائر بعقد السلام مع هولندا وإطلاق سراح القنصل الانجليزي[26].

وفي الوقت الذي اجتمع فيه الداي مع أعضاء الديوان للتشاور حول الشروط المفروضة عليهم استغل الأسطول الانجليزي والهولندي الفرصة وتقدم نحو ميناء الجزائر رافعا العلم الأبيض الدال على السلم متخذا في ذلك وضعا يسمح له بمهاجمة السفن الجزائرية وتحصيناتها،[27] وفي هذا علق شالر أن ما قام به الداي والجزائريين من غفلة ووقوع في خدعة الانجليز ينم عن قلة الحزم ولا يليق بهم.[28]

بعد معركة استمرت لساعات بين الأسطول الجزائري والأسطول الانجليزي والهولندي توقفت المدافع وبدأت الخسائر تظهر فقد قتل المدفعيون الجزائريون وحطمت مدافعهم وأحرقت سفن الأسطول الجزائري بالميناء وخربت الحصون إضافة الى خسائر في الأرواح حوالي 300جزائري و300 انجليزي حسب التقرير الذي أرسله الداي عمر للباب العالي.[29]

وعندما توقفت المعركة سارع الداي عمر إلى طلب عقد السلم بالشروط الانجليزية الهولندية والتي فرضت عليه وفي مجملها كانت قاسية ومجحفة ومذلة جدا على الجزائريين حيث نصت على إلغاء الرق نهائيا، وإطلاق جميع الأسرى المسيحيين بالجزائر، وإعادة أموال الفداء التي دفعها اكسموث للداي سابقا لإطلاق سراح رعايا نابولي وساردينيا ودفع تعويض حربي مقداره 5000000 فرنك بالإضافة إلى اعتذار الداي علانية للقنصل الانجليزي.[30]

3_ حملة انجلترا على الجزائر 1824:

بعد ثماني سنوات من حملة اكسموث وتنفيذا لتوصيات مؤتمر اكس لاشابيل 1818، وبعد تأزم العلاقات الجزائرية الأوروبية تم تجهيز حملة جديدة من طرف انجلترا ضد الجزائر سنة 1824، وتعود أسباب هذه الحملة الى الأحداث التي جرت ببجاية حيث ثارت القبائل التي كان بعض أرادها يشتغلون خدما في القنصليات الأجنبية على السلطة المركزية، مما جعل الداي حسين يوجه مذكرة إلى القناصل المسيحيين بمدينة الجزائر يطالبهم بأن يسلموا له الأشخاص الثائرين الاّ أن القناصل رفضوا ذلك وبخاصة القنصل الانجليزي "ماك دونال" الذي اعتبر ذلك تدخلا في شؤونهم الخاصة مما أدى بالداي إلى استعمال القوة للقبض على خدم القنصليات وعليه توترت العلاقات الجزائرية

---

[26] Salamé Abraham, narrative of the expedition to algiers in the year 1816 under the command of the right box admiral lord vixount exmouth london , john murhay, albemarle_streel,1819, p19

[27] جون وولف، مرجع سابق، ص 445.

[28] شالر، مصدر سابق، ص 156.

[29] جوون وولف، مرجع سابق، ص 445، أنظر أيضا: شويتام، مرجع سابق، ص 155.

[30] شالر، مصدر سابق، ص 157.

الانجليزية،[31] وهناك سبب آخر وهو رفض القنصل الانجليزي تسليم بعض الخدم في القنصلية الانجليزية المتورطين في الهجوم على إحدى السفن الأمريكية بسواحل بجاية.[32]

بعد رد الداي على مذكرة الاحتجاج التي حررها القناصل الأجانب ضد أعمال حكومة الجزائر (كان رد الداي في أن بلاده حرة في تصرفاتها مع رعياها) وصلت باخرة انجليزية بقيادة القبطان سبنسر إلى الجزائر في جانفي 1824، تحمل تعليمات إلى قنصلها ماك دونال عن الأحداث التي جرت في أكتوبر 1823، وشملت بنودا إضافية للمعاهدة التي أبرمت بين البلدين بعد حملة اكسموث، غير أن الداي رفض التفاوض مع الانجليز واعتبر أن المعاهدة انتهى أجلها ، كما رفض التوقيع على البنود الإضافية بحجة أنها لا تحمل الختم الحقيقي للحكومة الانجليزية. [33]

وبعد مفاوضات بين الطرفين رأى الطرف الانجليزي أن الداي مصر على عدم قبول الشروط الانجليزية، فالداي حسين كان يرى أن الانجليز ما يزالون ينظرون الى الجزائر نظرة الغالب والمغلوب ويظهرون توترهم أمام الجزائريين للضغط عليهم وتخويفهم، وبهذا انسحب الأسطول الانجليزي من ميناء الجزائر وبدأ في مهاجمة السفن الجزائرية الداخلة والخارجة الى الميناء، لكن الجزائريين أظهروا شجاعة في صد الهجوم وبقي الوضع على حاله بين طرفين لمدة ستة أشهر.[34]

وعندما عجزت الحكومة الانجليزية عن فرض شروطها على الجزائر أرسلت أسطولا إضافيا بقيادة الأميرال "هنري نيل" شهر نوفمبر 1824، يحمل تعليمات حكومته في أن هذه الأخيرة تعتبر نفسها في حالة حرب مع الجزائر مع فرض حصار عليها حتى يوافق الداي على الشروط [35]التي عرضها القنصل عليه سابقا.[36]

دخل الطرفان في مفاوضات بداية من تاريخ 28 مارس توصل فيها الطرفان إلى اتفاق بشأن الصلح وذلك فيما يتعلق بعودة القنصل الانجليزي الى الجزائر فقد رفض الداي ذلك، ولما عاد هنري نيل الى سفينته وجه رسالة إلى الداي يخبره أن شرطه المتعلق بعدم عودة القنصل إلى الجزائر يعتبر إهانة لانجلترا، واستمرت هذه المفاوضات الفاشلة بسبب تعنت الطرفين إلى غاية شهر جويلية إذ قرر الانجليز شن حملة عسكرية على الجزائر،[37]مكونة من 22 سفينة لكنهم اضطروا للانسحاب من المعركة بعد أن وجدوا مقاومة شديدة من الجزائريين[38]وعند ذلك وقع تفاوض

---

[31] شالر، مصدر سابق، ص 193. أنظر أيضا شويتام، مرجع سابق، ص 16.

[32] الزهار، مصدر سابق، ص 151.

[33] شالر، مصدر سابق، ص 202.

[34] الزهار، مصدر سابق، ص 151.

[35] شالر، مصدر سابق، ص 214_215

تمثلت شروط القنصل في امتداد الحصانة الدبلوماسية الى دار القنصل في الريف، ورفع العلم الانجليزي فوق مبنى الدارين الريفي والحضري، والاعتراف بالقنصل الانجليزي كعمدة للقناصل المسيحيين واعطائه جميع الامتيازات واعفاء الاهالي الذين يخدمون القنصل

[36]الانجليزي من الضرائب وعدم مراقبة الدبلوماسيين الانجليز، اظر شويتام، مرجع سابق، ص 164.

[37] شالر، مصدر سابق، ص 223_226.

[38] هلايلي، مرجع سابق، ص 36.

آخر بين قائد الحملة والداي انتهى بعقد الصلح بتاريخ 26 جويلية 1824[39] بقبول الداي جميع الشروط الانجليزية ما عدا عودة القنصل[40]

4_ أثر الحملتين على نهاية الحكم العثماني في الجزائر:

تعتبر حملة اكسموث سنة 1816 ضد الجزائر من أهم العوامل التي أثرت تأثيرا بالغا في الأوضاع العامة للجزائر نظرا لما خلفته الحملة من خسائر مادية وبشرية معتبرة، وتضاربت الآراء وتباينت الإحصاءات فيما يتعلق بخسائر الجزائر نتيجة المعركة لكنها كلها توضح لنا أنها كانت نكسة حقيقية، فرسالة الداي عمر إلى السلطان العثماني بتاريخ 1231هـ قدمت لنا أرقام مذهلة فيما يخص الخسائر المادية والبشرية جراء القصف الانجليزي، تمثلت في حرق قسم كبير من مدينة الجزائر وهدم الاستحكامات التي أنشأت سابقا ومؤخرا في الميناء وحرق الأسطول الذي كان داخل الميناء وموت وإنجراح ما بين 4000 و5000 رجل وغيرها من الأضرار والتخريب الذي لحق بالمدينة[41].

إن أهم التبعات العسكرية التي جنتها الجزائر من المعركة هي تدمير كلي للأسطول الجزائري فحسب تقرير اكسموث التي لحقت بالجانب الجزائري: حرق أربعة سفن عريضة من ذات الأربع والأربعين فوهة وخمس طرادات عريضة تتراوح بين 24و30 مدفع وتخريب 30 سفينة، كما خربت عدد من السفن التجارية والسفن الحربية ذات المدفعين، وعدد كبير من السفن الصغيرة من مختلف الأصناف وكل سفن النقل الخفيفة والثقيلة وبيوت المخازن وصناعة السفن إلى جانب كل الخشب والأدوات البحرية المختلفة ومخازن السفن من كل الأحجام وكل المستلزمات الحربية،[42]في حين أكد تقرير القبطان الأمريكي "سومر" والذي كان شاهدا على المعركة تدمير غالبية الأسطول الجزائري وأقر بالحالة المأساوية للرياس والجيش والأسطول معا.[43]

وحول أهم التبعات السياسية كان توقيع المعاهدة التي وقعت بين الطرفين مهينة ومذلة قبلت بها الجزائر ووضحت عجزها في المقاومة والسياسة فشملت بنودها أولا إلغاء الرق نهائيا وثانيا تسليم جميع الأسرى المسيحيين الموجودين بالجزائر، وثالثا تسليم جميع أموال الفداء التي تلقتها الجزائر منذ بداية السنة ورابعا تعويض القنصل الانجليزي عن جميع الخسائر التي تكبدها بسبب حجزه، وخمسا تقديم الداي اعتذاره علنا في حضور الديوان هذا بالإضافة إلى توقيع معاهدة سلم مع هولندا. [44]

ومن تبعاتها السياسية أيضا هو زيادة التوحد والتحالف الأوروبي ضد الجزائر وهو ما نلمسه في التهاني من إسبانيا وسردينيا والصقلية وهولندا للملك الانجليزي وتهنئته كذلك من طرف الكنيسة والجمعية الفرنسية للعبيد عرفانا

---

[39] الزهار، مصدر سابق، ص 154.

[40] شالر، مصدر سابق، 237.

[41] شودار، الحملات الأوروبية...، مرجع سابق، ص 252.

[42] سبنسر، مرجع سابق، ص 192

[43] شودار، الحملات الأوروبية...، مرجع سابق، ص 253

[44] محمد الأمين بوحلوفة، إيالة الجزائر العثمانية ومملكة انجلترا دراسة في العلاقات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، من 1620_1827، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، 2018_2019، ص219.

لمجهوداته، وهذا يبين مدى التوافق والإصرار للقضاء على الجزائر، ويوضح أن حملة اكسموث ما هي إلا بداية لمخطط دولي يهدف إلى إلغاء النظام السياسي والوضع القائم في البحر المتوسط، ومعه إلغاء نهائي للحكم العثماني بالمنطقة حيث انه بعد سنتين من الحملة تم الاتفاق في مؤتمر أكس لاشابيل بضرورة إيجاد حل نهائي للقضية الجزائرية.[45]

هذا وأثرت الحملة بشكل مباشر في الاستقرار السياسي داخل الجزائر فكان اغتيال الداي عمر في شهر سبتمبر 1817، بعد حمله الجيش الجزائري مسؤولية الهزيمة والأضرار، وإن اغتيال الداي يدل على حالة الفوضى والاضطرابات الداخلية التي كانت تعيشها الجزائر بعد الهزيمة، وتوضح لنا هذه الحادثة كذلك جهل الجزائريين والعثمانيين بالجزائر قوة أوروبا الزاحفة عليهم وقوتها المادية والتكنولوجية المتزايدة فبدلا من تكاثف الجهود وإصلاح ما يمكن إصلاحه عادت الاغتيالات والصراعات والثورات.[46]

إن معاهدة الصلح التي فرضت على الجزائر بعد حملة اكسموث كانت جد قاسية على الاقتصاد الجزائري إذ وضعت حدا لانتعاش الذي عرفته البحرية الجزائرية مطلع القرن 19، فتحرير الأسرى حرمها من مورد هام لخزينتها وألزمها بدفع تعويض حرب قدره 500000 فرنك[47] وإعادة 350000 دولار لمملكة نابولي وسردينيا كانا قد دفعاه فدية لرعاياهم سابقا بحسب رواية شالر،[48] وبطبيعة الحال هذا انعكس سلبيا على البحرية الجزائرية والخزينة فتحرير الأسرى دون فدية وإرجاع أموال الفداء السابقة ضيع فرصة انتعاش الخزينة بحوالي مليونيين من الريالات الفرنسية وهذا ما جعل الباحثين في التاريخ العسكري يقرون بأن حملة اكسموث تعتبر منعرجا حاسما في تاريخ البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، إذ بعد هذا التاريخ بدأت نهاية البحرية الجزائرية[49].

ومع الهزيمة في المعركة ونتائجها القريبة والبعيدة وتابعات المعاهدة تغيرت النظرة الدولية للجزائر فبعد أن كانت تفرض الشروط القاسية على الدول الأوروبية تجبرهم على دفع الإتاوات انتقل الوضع فأصبحت الجزائر محل الأطماع وترضخ للشروط الأوروبية وتحاول إرضائهم.[50]

هذا بالإضافة إلى الحصار الذي فرضته إنجلترا على سواحل الجزائر سنة 1824، قبل تنفيذ حملتها العسكرية والذي دام نصف سنة كان له تأثير سلبي على التجارة الخارجية للجزائر فلم تعد السفن الجزائرية تستطيع الدخول أو الخروج إلى المدينة، وجزء قليل من المبادلات يتم عن طريق البر مع تونس والمغرب وطرابلس الغرب، وجل

---

[45] بوحلوفة، مرجع سابق، ص 219_220.

[46] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص328.

[47] هلايلي، مرجع سابق، ص29.

[48] شالر، مصدر سابق، ص 157.

[49] شودار، الحملات الأوروبية...، مرجع سابق، ص 206

[50] بوحلوفة، مرجع سابق، ص 220

هذه الحملات كان لها تأثير على التجارة الخارجية لأن أدنى ما كانت تقوم به هو فرض الحصار على الموانئ وتعطيل حركة الإبحار والإرساء التي تتوقف عليها عمليات التصدير والتوزيع.[51]

خاتمة:

تعتبر بداية القرن التاسع عشر فترة حاسمة في تاريخ الوجود العثماني بالجزائر، ففيها أعلنت الدول الأوروبية رغبتها في التخلص من قوة الجزائر التي فرضت عليهم لأكثر من ثلاث قرون، وأجمع المؤتمرين في فيينا 1815م وخاصة فرنسا وانجلترا على ضرورة إيجاد السبل لتهميش الجزائر والقضاء عليها.

وما يمكن قوله في الأخير أن مؤتمر فيينا وإكس لاشبيل كانا بداية المرحلة الأولى لتقسيم البلاد العربية بين الدول الأوروبية خاصة انجلترا وفرنسا، وأن المؤتمرين كانت من نتائجهما إنهاء الحكم العثماني في الجزائر.

تعتبر حملة اكسموث سنة 1816 ضد الجزائر بداية النهاية للايالة ومن أهم العوامل التي أثرت تأثيرا بالغا في الأوضاع العامة للجزائر نظرا لما خلفته من خسائر مادية وبشرية معتبرة، ولما أحدثته من انعكاسات وخيمة على الجزائر، فمنذ هذا التاريخ بدأ تقهقرها وتراجعها العسكري لتنتهي نتائجها أخيرا بالاحتلال الفرنسي.

قائمة المصادر والمراجع:

_ وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816_1824، تر إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع، الجزائر، 1982.

_ أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار 1754_1830، تح أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

_ صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1993،

_ جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500_1830، تر أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

_ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800_1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011. _

_ حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815_ 1830، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007.

_ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

_ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

_ مبارك شودار، الحملات الأوروبية على إيالة الجزائر وانعكاساتها فيما بين 1671_1830 في الأرشيف الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2019_2020.

_ محمد عطية، التحالفات الإقليمية والدولية ضد إيالة الجزائر 1541_1830، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2019_2020.

[51] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982،ص124.

_ محمد الأمين بوحلوفة، إيالة الجزائر العثمانية ومملكة انجلترا دراسة في العلاقات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، من 1620_1827، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، 2018_2019.

_ خطاب فطوم، التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية 1800_1830، رسالة ماجستير في تاريخ الدبلوماسية والعلاقات الدولية خلال القرنين التاسع عشر والعشرون، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2014_2015.

_ مبارك شودار، التكتل الاوروبي ضد الجزائر فيما بين 1815_1819 وتداعياتها، مج 9، ع1، مجلة الحوار المتوسطي، 2018.

Salamé Abraham, narrative of the expedition to algiers in the year 1816 under the command of the right box admiral lord vixount exmouth london , john murhay, albemarle_streel,1819, p19